مغذّيات الإيمان

أ.أناهيد السميري

آخر لقاء من لقاءات شهر رمضان لعام ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الأخير في هذه السلسلة المباركة، أسأله بمنّه وكرمه كما يسر لنا ٣٠ لقاء في هذا الشهر المبارك أن يتقبّلها منّا وأن يجعلنا ممن أحسن في هذا الشهر صيامه وقيامه والتعلم عنه والتدبر في كتابه.
وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الشهر سببًا لزيادة إيماننا، ولذلك سنختم هذه اللقاءات بالكلام حول مغذيات الإيمان والأسباب التي تزيد العبد إيمانًا.

تعلم أن شجرة الإيمان التي مثلها الله عزّ وجلّ في سورة إبراهيم، وضرب لنا مثل الكلمة الطيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وهذه الشجرة كما وصفها الله ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٥] فهذه شجرة الإيمان التي مبدؤها وصلاحها بكلمة التوحيد، وُصفت في هذه الآية كمثل هذه الشجرة الطيبة التي وصفت بأن لها أصولاً وفروعًا وثمارًا.
فأصول هذه الشجرة: هي شهادة التوحيد والإيمان بأصول الدين كلها.
وفروعها: القيام بشرائع الإسلام الظاهرة والباطنة.
وثمارها: ما يتحلّى بها الشخص من كلّ خُلق جميل وسمت صالح، ومن أعظم الثمار الثواب العاجل والآجل الذي نرجوه من الله.

فمتى تمّت هذه الشجرة، كملت فروعها وتمت ثمارها ولذّت
ومتى نقصت، ضعفت، وضعف الأصل، وضعُفت الفروع، وقلّت الثمار أو ربما عدمت.

فإذا كان هذا حال الإيمان في القلب ونتائجه، حقيق بنا أن نبذل جهودنا في زيادته؛ لأن فلاحنا وسعادتنا متوقفة عليه، ولازال في القلب حُرْقة على انتهاء الشهر! لازالت نفوسنا تلومنا على التقصير في لوازم الإيمان ومكملاته، فما دام أن لك نفسًا لوامة –وهذه من نعمة الله عليك– ومادام أنك لا تبرر مواقفك بل تنظر حقيقة إلى النقص الواقع منك، فتحمل نفسك على زيادة الإيمان، فأبشر بالزيادة؛ أي مادام عندك نفس لوامة، إذن ستبقى تبحث عما يزيد إيمانك، الإشكال لما تموت النفس اللوامة، ماذا يحصل؟ يقع في القلب تبرير لكل نقص وقع.
سنختم لقاءاتنا بالكلام حول مغذيات الإيمان علّ الله يجعل هذا الكلام سببًا لأن يزيد الإيمان

فإذا زاد الإيمان، صلحت أحوال العباد والبلاد

إذن ينبغي علينا أن نجتهد في عمل الأسباب الجالبة للإيمان.

السبب الأول: تدبّر القرآن

وهذا السبب ذُقنا طرفا منه في هذا الشهر المبارك، وكلما زدنا علمًا بمعاني كلام الله، نجد حلاوة عجيبة تذوقها فتستعجبها، وهذه هي حلاوة الإيمان الذي من أهم أسبابه تدبر القرآن، فنسأله سبحانه وتعالى أن ييسّر لنا هذه الأسباب تيسيرًا عظيمًا وأن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا.

- فتدبر القرآن يزيد من علوم الايمان
- يزيد من الشواهد
- يقوي في قلبك الارادة للعمل الصالح
- تدبّر القرآن يحثك على أعمال القلوب، يحثك على التوكل.

كم مرة سمعنا ونحن نقرأ الكلام حول الأمر بالتوكل، الأمر بالإخلاص، الأمر بالتعلق به سبحانه وتعالى الذي هو أصل الإيمان.كم سمعنا ونحن نتلو كتاب الله الأمر بتقواه، آثار هذه التقوى، فهذا كله وتكراره على النفس مع فهمه الدقيق، ومع معالجة الملل؛ لأن الشيطان لابد أن يؤذيك ويكون مبتغاه أن يستولي عليك، فمع تكرارك للمعاني قد يأتيك الشيطان يشعرك بالملل.

فقوي قلبك.. قوي قلبك.. قوي قلبك وادفع عنك الشيطان، واسأله سبحانه وتعالى أن يفتح لك أبواب الفهم، وسترى كيف يزيد الإيمان بهذا السبب.

ونسأله سبحانه وتعالى أن ييسر لنا برامج قادمة للاعتناء بالتدبر، ونحن نشهد بمنته علينا أن يسر لنا سبل الاجتماع، فهذه النعمة في حدها تحتاج إلى كثير شكر فلك الحمد ولك الشكر يا ربنا.

السبب الثاني: معرفة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم

وسماع أحاديثه ومعرفة معجزاته معرفة أخلاقه صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يكون إلا بقراءة وتدبر في أحاديثه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، وفي تتبع معجزاته وآياته، فلما يكون الإنسان عنده إيمان بالنبي ويأتيه كلام النبي مرة بعد مرة يزيد حبه للنبي صلى الله عليه وسلم وإذا زاد حبه للنبي زاد إيمانه بالله عزّ وجلّ.

السبب الثالث: التفكر في آيات الله ومخلوقاته والتفكر في النعم الظاهرة والباطنة الخاصة والعامة على العبد.

فالتدبر في أنه مدبر سبحانه وتعالى والتفكر في هذا ورؤية تدابيره لعباده وجمعه سبحانه وتعالى وتفريقه، هذا كله مما يزيد إيمانك.

فانظر إلى أحوالك الخاصة وانظر إلى نعمه الظاهرة والباطنة عليك،كن من الشاكرين فإن نفًسا شاكرة، شكرها يزيد إيمانها، ولذلك لا تبخل على نفسك بالتفكّر في تدبيره العجيب لك ولمن حولك، وانظر كيف يربيك ليزيد إيمانك ويحرق في قلبك حب الدنيا والتعلق بها، وهذا أمر لا تفهمه إلا لما تكون ابتدأت بتدبّر القرآن، فتُفتح عليك أبواب فهم أفعاله، فلما تفهم أوصافه سبحانه وتعالى –أسماؤه الحسنى وصفاته العلى–، ستتصور كيف يمكن أن تتدبر وتقرأ أفعاله فيه.

السبب الرابع: النظر في أحوال الأنبياء والصديقين وخواص المؤمنين والسلف الصالح وتتبع أمورهم وكلامهم

هذا كله مبني على ما سبق، تبدأ أولا بالقرآن، ثم بكلام النبي صلى الله عليه وسلم، ثم فيما يحيط حولك، ثم ترى هؤلاء السلف، الأنبياء والمرسلين أخبارهم أتت في الكتاب والسنة، الصديقين، خواص المؤمنين، كل هؤلاء أخبارهم أتت سواء كانت في السِّيَر، أو في السنة، أو في الكتاب، معرفة أحوالهم وردودهم وكلامهم وتصرفاتهم وتعلقاتهم وخوفهم ورجاؤهم، كله مما يهذب لك أحوالك.

السبب الخامس: ماتراه من ابتلاءات الله عز وجل لك

يقع عليك الضرورات التي تلجئ العبد إلى الله، لما تقع عليك هذه الضرورات، يعني أي ضيق بسيط أو كبير وتلجأ فيه أنت إلى الله، سيكون هذا الضيق نعمة عليك؛ لأنك ستكثر من الدعاء والتوسل والرجاء والتوكل، فهذا كله يزيدك إيمانًا، فإذا فرجت الكربات وأجيبت الدعوات وحصلت المسرات واندفعت المضرات زادتك إيمانًا، زادتك ثقة به سبحانه وتعالى، زادتك اعتمادًا عليه، فلا تكرهها، واعلم أنها ما أتت إلا لتحملك على الإيمان.

وإنا والله نرى العجب العجاب من مواقف وأحداث تعلم أن الله ما أوقع هذا الحدث إلا ليزيدك إيمانًا، وأذكر لكم موقف يسير جدا لكنه عجيب ملفت للنظر لمن تأمل فيه:

في الحرم، تعلمون أن النساء يضعن أغراضهن ويخرجن إلى دورات المياه أو يخرجن للأكل ويعودون، هذه امرأة وضعت أغراضها فوق الأماكن المخصصة للمصاحف، في أعلى مكان -في العادة ما يكون فيه مصاحف-، ثم خرجت إلى قضاء حاجتها وعادت، قبل ما تعود بأقل من دقيقة أتت العاملة المتخصصة في العناية بهذه الأدراج وحملت كيسها وألقته في الأرض لأنهم يعلمون كلهم أنه ممنوع وضع الأغراض في هذا المكان، العاملة خطت خطوتين إلى الأمام، ثم أتت صاحبة الكيس ما نظرت للأرض -مع أنه تحت قدميها-، نظرت للمكان ما وجدته، فلا تسأل عما فعلت من صراخ واتهامات! يعني كل هذا حصل في أقل من ٥ دقائق، وصارت تبحث في الصفوف عن أغراضها، ثم عادت وفي طريق العودة مرة أخرى أراها الله إياه.

فهذا الموقف لمن تأمّله جيّدًا، علم أن الله يبتليه بهذه الضرورات ليختبره، فتنة، من أنت؟ ما حقيقتك؟ ما صبرك؟ ما لجوؤك؟

ولا تعتقد أن هذا لابد أن يكون في المسائل الكبار لأن المسائل الكبار -الموت... إلخ- لما يقع في الغالب ترى من يصبرك وأيضًا تعلم أن الكمال أن تصبر، والناس سيمدحوك على صبرك، فهذه كلها محركات يمكن

أن تشوش عليك، لكن أنت اختبر نفسك أولاً في صغار الأمور، ثم ترى بعد ذلك أن صبرك على كبارها صبرًا صحيحًا يحبه الله وليس صبر تجلد.

المقصد أنّ مِن أهم أسباب تغذية الإيمان ما تراه من نعمة الله عزّ وجلّ على عباده في هذه الضرورات، ما يحصل لك من أشياء لا تحبها، ما لا تحب يضطرك إلى دعائه وسؤاله والانكسار بين يديه وهذا مما يزيد إيمانك.

السبب السادس: اللهج بذكر الله

ألهج بذكره سبحانه و تعالى، وأعظم حال أن تلهج بلسانك وقلبك، إلهج بلسانك وقلبك في ذكره سبحانه وتعالى، وأقل منها أن يكون بقلبك وبدون لسانك، وأقل منها أن يكوون بلسانك وليس معه قلب، لكن يبقى اسمه ذكر، لكن تريد زيادة الإيمان على الحقيقة وتريد قوته، اذكر الله بلسانك وبقلبك، وأكثر من دعائه في السراء والضراء، في جميع النوازل التي تخصك أو التي تراها على المسلمين، اسأل الله أن يكشف عن المسلمين جهلهم، أن يكشف عنهم فقرهم، أن يقوي إيمانهم، اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا تقبل دعاء، اسأل لنفسك وللمؤمنين المغفرة، كل هذا من مغذيات الإيمان، وأيضا هذا الشيء لا يغذيه إلا الإيمان، كأننا في دائرة، الإيمان يغذي دعاءك وسؤالك، وسؤالك ودعاءك يغذي الإيمان.

السبب السابع: قوة الصبر على طاعة الله وعن معاصيه وعلى أقداره، مع استصحاب التوكل والاستعانة به سبحانه وتعالى.

فكلما قوي صبرك، زاد إيمانك، فاصبر على الطاعة، واصبر عن المعصية، واصبر على الأقدار، وتوكل في هذا كله على الله واستعن به، فإن الصبر ما يأتي إلا بالاستعانة.

وأنتم تذكرون كلام يعقوب عليه السلام ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ ﴾ [يوسف: ١٨]، فإذا وقع في قلبك التوكل والاستعانة، سترى شجرة الإيمان كيف تثمر ثمارًا عجيبة، إذا أردت أن تنظر إلى شجرة الإيمان وترى كيف القرآن يؤصِّل فيها معرفته سبحانه ومعرفة ماله من الأسماء الحسنى والصفات العلى وأنه متفرِّد بكل كمال وفضل وإفضال على العباد، هذا الذي يقع في قلبك من التدبّر –ألا هو السبب الأول من أسباب زيادة الإيمان– ماذا يفعل فيك هذا السبب؟ ماذا يفعل في شجرة الإيمان؟ يبعث في شجرة الإيمان

دواعي اللإنابة إلى الله بالذكر والدعاء والرجاء، ثم ترى هذا العبد صابرًا راضيًا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولاً.

فهذه الشجرة تقوى بسبب هذه الأسباب وأيضًا هذه الأسباب ألا وهي الذكر والدعاء والصبر والتوكل كلها تغذي هذه الشجرة.

السبب الثامن: المحافظة على الأوراد الشرعية

أعمال اليوم والليلة من الأذكار وأدعية الدخول والخروج والنوم إلى آخره، كلها من أسباب زيادة الإيمان، ومن ضمن أذكارك التي تذكرها مثلاً سيد الاستغفار، وهذا يدلّ على أن من أسباب زيادة الإيمان دوام التوبة والاستغفار.

السبب التاسع: تنقية القلب من كل ما يضاد الإيمان

مثل الرياء والعجب والكبر والغل والحقد، والغش للمسلمين، وأمراض القلوب التي تعلمها.

فإذا تنقى القلب من هذا، لا تسأل عن نفع هذا العبد للعباد، تراه عجيبًا! ترى أن الله يجري على يدي هذا العبد من أبواب الخير ويجعله الله مفتاحًا للخير، بسبب ما معه من سلامة قلب، فإذا علمت هذا سترى كيف تؤتي هذه الشجرة أكلها كل حين بإذن ربها.

وهو سبحانه وتعالى الموفِّق وحده المحمود وحده الذي لا ملجأ للعبد ولا منجا منه إلا إليه، ولا حول ولا قوة إلا به.

فإذا اجتمعت هذه الأسباب (مغذيات الإيمان) في القلب، وجدت العبد يزيد إيمانًا وتؤتي ثمار شجرته كل حين، وأنت تعلم أن الإيمان يشمل عقائد الدين وأعمال القلوب والجوارح، فالأسباب التي تزيد الإيمان ستكون في القلب وفي الجوارح، فيزيد إيمانك بأعمال قلبك، ويزيد إيمانك بأعمال جوارحك، لكن لا تتصور أن جوارحك تنفعك في الأعمال دون أن يكون قلبك معها، ولذلك اسأل الله أن يجمع عليك قلبك وأن تكون ممن أحسن عملاً وخرج من هذه المواسم المباركة قد زاده إيمانه، وعظم يقينه وصلح قلبه. وهو سبحانه وتعالى وحده القادر على ذلك.

ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين الذين علموا حق العلم وتيقنوا حق اليقين بلقائه فاعتنوا وحملوا همّ هذا اللقاء! فهانت عليهم الدنيا وهان عليهم ما فيها، وتصوروها على حقيقتها فعاملوها كما يحب هو ويرضى. اللهم آمين.

أسأل الله بمنه وكرمه كما جمعنا عن بعد أن يجمعنا في الفردوس الأعلى، اللهم آمين.